واقع بائس.. بلا تفسير

بقلم: احمد الصراف

م ب ت هي الحروف الاولى لاخصائي اجتبي يعمل بوزارة الصحة بعد ان تعاقد معها قبل فترة وتعاقدت زوجته ذات التخصص النادر مع وزارة التعليم العالي في فترة لاحقة.

حضر الزوج اولا الى الكويت ودخل في دوامة استغرقت اربعة اشهر انتهى بعدها من كافة اجراءات الاقامة وتوابعها من كشف صحي، وبصمات وامن الدولة والشؤون والجوازات والبطاقة المدنية، اجازة القيادة وتسجيل السيارة والحصول على خط الهاتف. اربعة اشهر ضاع نصفها في اللف والدوران على مختلف الدوائر والوزارات والمصالح الحكومية لم يكن ينتهي من طابور هنا حتى يبدأ اخر، عشرات الايام ضاعت دون ان يتمكن خلالها من القيام بالعمل الذي جاء من اجله اصلا!! والان بعد ان انتهى من كل ذلك اصيب باحباط غريب وكراهية شديدة للروتين الحكومي، ولولا الجانب المادي في الموضوع لما بقي في الكويت يوما واحدا بعد ان استقال هو وزوجته من عملهما السابق وباعا منزلهما واثاثهما والحقا ابناءهما بمدرسة بالكويت.

حان الوقت لكي تلتحق به زوجته، لم يخبرها بالعذاب والارهاق والبهدلة التي مر بها، املا ان يكون حظها كسيدة احسن منه، اضافة الى ان جهة عملها تعتبر جهة مستقلة وذات سمعة ادارية تفوق سمعة الجهة التي يعمل فيها. ذهب في اليوم المتوقع لوصولها الى الجهة التي ستعمل بها وطلب منهم تسهيل امر دخوله الى صالة القادمين، فطمأنه المسؤول بان لا داعي حتى لذهابه الى المطار حيث انهم سيقومون بعمل كافة الترتيبات التي تليق بمكانتها والعمل على توصيلها معززة مكرمة الى البيت. بالرغم من تجربته القصيرة مع البيروقراطية في الكويت الا ان طعم مرارتها كان لايزال عالقا بلسانه، ولم يصدق كلمة من معسول الكلام الذي اسمعه اياه المسؤول وذهب الى المطار مع ابنيه ليكون باستقبالها فور خروجها من صالة القادمين!! مرت ساعات ثلاث وهم بالانتظار، ذهب لمكتب الطيران وعلم من «المنافيست» بانها كانت من ضمن الركاب، ذهب الى الامن فلم يجد، كالعادة، الا اذانا غير صاغية، ذهب لمكتب العلاقات العامة ذوي الوجوه المتجهمة ابدا يشكو الحال فطلبوا منه «الفيزا»، فهذه هي الكلمة الوحيدة التي يعرفونها، فقال لهم بانها موجودة مع مندوب الجهة الحكومية، فهزوا اكتافهم علامة اللامبالاة. اثناءها كانت زوجته قد وصل بها الحال الى درجة البكاء واليأس من السجن الذي وجدت نفسها فيه، ومن الحالة المؤسفة التي كانت بها. فبعد انتظار زاد عن الساعات الثلاث وبعد ان حاولت ولعشرات المرات التفاهم مع اي كان لشرح مشكلتها لم تجد غير العيون تنظر لها وتتفحص وجهها دون القيام باي رد فعل، ولم تصدق نفسها انها في تلك الدولة نفسها التي دعتها قبل اشهر معدودة للمقابلة. حاولت كثيرا ان تشرح مشكلتها لرجال الامن الا ان احدا لم يهتم بها ولم تجد شخصا يعرف التكلم معها باللغة الانكليزية لتشرح له حالتها، واستغربت كثيرا من مثل هذا الوضع في مطار نصر على تسميته بـ «الدولي». باعجوبة، ليس هنا مجال شرح كيفية تحققها، وصلت الى البيت والى زوجها وابنيها وهي في حالة يرثى لها، يملأها شعور بالمرارة والقهر والتعب وبالعجز التام عن فعل اي شيء، تلعن فيه ذلك اليوم الذي قبلت فيه العمل لدينا!! ثلاثة اشهر مرت، تنقلت فيها من مكتب لاخر، ومن طابور ممل لاخر اكثر مللا، واضاعت ساعات عمل ثمينة وهي واقفة في طابور مع الخدم والعمال وهي من قدمت لاداء ارفع الاعمال واجلها، اوقفوا صرف اي راتب لها بحجة انها يجب ان تفتح حسابا مع بنك محلي ليتمكنوا من تحويل الراتب له، رفض البنك فتح الحساب لانها تحتاج الى جواز سفر مع اقامة، والجواز بالادارة المعنية لانهاء اجراءات الاقامة!! وما عليها الا الانتظار، ثلاثة اشهر طويلة مرت وتعاملت فيها مع مختلف شركات سيارات الاجرة الخاصة، ودفعت الكثير لهم، حيث ان السلطات المعنية لا تسمح لها بالقيادة بإجازة القيادة التي تحملها بالرغم من ان العالم كله، ودون استثناء، يعترف بها، علما بأن تصريح القيادة لا يعني اكثر من كونه شهادة صادرة من سلطة حكومية ذات احترام تفيد بان حاملها يعرف كيفية قيادة مركبة ما، واي تفسير مخالف لذلك يعتبر تعسفا غير مبرر. ان قصة م ب ت و زوجته ليست قصة فريدة نادرة الحدوث، بل ان ما حدث لهما يعتبر نموذجا لما حدث للكثير من الاوروبيين والاميركيين العاملين بالكويت، ومعروفة جدا بين هؤلاء قصة ذلك الخبير الذي استقال من عمله لانه عجز وبعد اشهر ستة من الحصول على خط هاتف لسكنه بمنطقة السالمية حيث كان يسكن، والقصص التي يرويها هؤلاء تشعرك بالاسى والالم وبالكثير من العجز، ولا تستطيع ان تجد تفسيرا لكل هذا البؤس الاداري الذي نصر على البقاء فيه.